



كتب مصطفى خليفة في روايته، يحكي يوماً في سجن تدمر الصحراوي: " 10 حزيران : أكثر من نصف شهر لم يحدث خلالها شيء ، أصوات التعذيب أنهكت أعصابي ، أن تتعذب أنت أهون من أن تسمع أصوات الصراخ الإنساني ليلاً نهاراً ..."

وفي سجن صيدنايا ساوموه للتوقيع على الاعتدار للرئيس مقابل إطلاق سراحه بعد خمس عشرة سنة من السجن، لكنه رفض، وكتب يقول: "بعد خروجي من عند رئيس الفرع وبعد محاولة مدير السجن معي لأوقع، أهملوني تماماً أكثر من شهر ونصف، في الأيام الأولى من هذه الفترة كنت فرحاً ومزهواً وراضياً عن نفسي تماماً، لكن مع استمرار الإهمال بدأ الإحساس بالضيق والملل ينتابني،

يومياً كنت أسمع أصوات التعذيب والصراخ، وفي يوم من الأيام سمعت صراخ ولدٍ صغير يتتعذب، فكرت أن أطرق الباب لأطلب منهم مقابلة رئيس الفرع ! حتى الكلمات التي يجب أن أقولها له كانت جاهزة : (سيدي العميد .. لقد فكرت طويلاً، وأنا على استعداد للتوقيع على أي ورقة تريده!) فركت جبيني وأنا أسير خطوتين إلى الأمام ومثلهما إلى الخلف، جلست، وضفت رأسياً بين يدي، فكرت، ضربت رأسياً بالحائط، بكيت .. بكيت، تمددت ونممت".

عندما نقلوه من سجن تدمر إلى سجن صيدنايا، وهو في سيارة الأجرة التي كانت تنقله، جالت في ذهنه خواطر، كتب عنها يقول: "كنت أنظر إلى الناس، وأنفحص وجوههم، ما هذه اللامبالاة .. ترى كم واحداً منهم يعرف ماذا جرى ويجري في السجن الصحراوي؟ .. ترى كم واحداً منهم يهتم؟

أهذا هو الشعب الذي يتكلم عنه السياسيون كثيراً ؟ .. يتغدون به .. يمجدونه .. يؤلهونه ! ... ولكن هل من المعقول أن هذا الشعب العظيم لا يعرف ماذا يجري في بلده؟! إذا لم يكن يعرف فتلك مصيبة، وإذا كان يعرف ولم يفعل شيئاً لتغيير ذلك فالحقيقة أعظم، استنتجت أن هذا الشعب إما أن يكون مخدراً .. أو أبله !

بطبيعة الحال: كان الاحتمال الأول هو الأقرب إلى الصحة، فالقمع والتعذيب والخطف والاعتقال والاغتصاب وانتهاك الحرمات وتدمير البيوت على رؤوس أصحابها؛ كان ذلك كله سبباً في منع الناس قسرياً من مجرد التفكير في أولئك

المسجونين، وما يجري عليهم من ألوان العذاب وصنوف التكيل، فضلاً عن أن مثل هذه المعلومات كانت مغيبة تماماً عن الناس، فلا يعلم ما يجري في السجون إلا الجلادون المجرمون.

أما الآن فالتعذيب على أمام كاميرات التصوير، يلتقطها الجزارون ويتفاخرون بها، وتنقلها وسائل الإعلام إلى العالم كله، وبعضاها تزدفها المواقع بسبب ظاهرة الناظر التي تحتويها.

وأمس، الاثنين: أرسل لي أحد الإخوة من الكسوة في ريف دمشق خبراً مفاده: (أن أصوات تعذيب المعتقلين من على حاجز مسجد أبي بكر الصديق تعلو وتسمع من مسافات بعيدة) (فهل العالم مخدر أم أبيه؟

إن ما يجري في سوريا وصمة عار في جبين العالم، والإنسانية جماء.

وإن كنت أستثنى العالم الكافر -وليس بعد الكفر ذنب- رغم وجود النخوة لدى بعض أولئك القوم، إلا أنني لا أستثنى إخوة الدين، الذين لا يتحرك وجданهم، ولا تنتفخ شهامتهم وأصالتهم للدفاع عن إخوانهم.

من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم

المصادر: